ولكن بتعطيل الآداب الملائمة اخلاق الرومان ، وبحسب قوّةِ العقل المناسبة لسموّ مداركهِ . وبالجملة فانَّ هذا الرجلَ الغريب الذي كان من اعظم ارباب السياسةِ ، وخطيباً شهيراً وبطلاً صنديداً ، وعائقاً فى الارض فاسدَ الاخلاق ، يظلم بلا رحمةٍ ، ويرحم بغير حدّ ولا قياس ، لهُ مزيةٌ خاصة بهِ دون سواه . وهي انهُ خُلق عجيب يخبرعنهُ آخر الدهر بكونهِ اكمل انسان وجد على الارض[1]

(للكلام صلة)

الاناشيد الوطنية

قال أحَدُ مشاهيرِ كتّابِ الانكليز « إنَّ الذي يضعُ لحناً وطنياً لقومهِ يضعُ لهم قوانينَ جديدةً » . وهو قول لا مبالغةَ فيهِ . إذ أنَّ الاناشيدَ الوطنيّةَ هي التي شحذَت السيوفَ ، وحرَّرتِ الأرقّاءَ ، وكوَّنتِ الأُممَ ، ورفعتِ الممالك ، ووحَّدَت قلوبَ أهل البلد الواحد

وهي التي تُذكي نارَ الوطنيّة ، وتجلو صدأها ؛ يتوكأ عليها قوّادُ الأُمم اذا أجهدَهم السيرُ ، ويهشّونَ بها على اتباعِهم اذا حادُوا عن الطريق

ينشدُها الغريبُ فيذكر قومهُ ، ويرفعُ بها المنفي عقيرتَهُ فيتذكّرُ وطنهُ . فهي روحُ الوطنية ، والوطنيةُ قوامُ البلاد ؛ وهي رسولُ الشُّعور ، والشعورُ منبتُ الوطنية . وهي الصلةُ بين القلوب ؛ والقلوب منشأُ الشعور

وأفعلُ الأناشيدِ الوطنيةِ فى الأفئدةِ وأشدُّها تأثيراً على النفوس ما وافقَ لحنُهُ الموسيقيّ الفاظَهُ فامتزجا بمخيّلةِ « الشاعر الملحّن » قبل أن

(١) يراد بأكمل انسان وجد على الارض أنه جمع في شخصه أصناف الصفات والخلال من حسنة وقبيحة مما لا يستجمع في غيره من الناس

يظهرَ لحيّز الوجود . حتى اذا أدّى كلٌ من القلب والرأس ما يطلبهُ هذا النشيدُ منهما برزَ فكان قوّةً حيّةً تدفعُ القوم لخدمة وطنِهم، والذّود عن حياضِهِ، والعملِ لرفعة شأنه

سألَ أحدُهم شاعراً من كبار الشعراء أن يُعلّمَهُ الأوزانَ فأجابهُ : « اذا لم يُوحِ قلبُكَ اليك الشعرَ فما تنظمهُ لا يكونُ شعراً هكذا الأناشيدُ الوطنيّة . فانها لا تَفعلُ فعلها فى النفوسِ إلاّ اذا كان منشأها القلبُ

ولا أعرفُ نشيداً وطنياً تطيرَ لهُ القلوب، وتثب الأفئدة، ويجرى الدم حارًّا في العروق عنـد سماعه، مثل المرسليز Marseillaise نشيدِ فرنسا الوطنى

لم يوضع ليكونَ نشيدَ الثورةِ الأفرنسية، ولكنهُ هيأَ النفوسَ لها . وُضِعَ عندما كان لويسُ السادسُ عشرَ الآمرَ الناهي . فلما أعلنَ الحربَ على النمسا عام ١٧٩٢ اقترح محافظُ مدينة ستراسبرج وضعَ نشيدٍ يستفزُّ بهِ هِمم الشبّانِ للدّفاعِ عن بلدِهم . فلبّى طلبَـهُ يوزباشي اسمهُ « روجيه دي ليل » . جادت عليه الطبيعةُ بإبداعِ الشاعرِ واُبتكارِ الملحّن . فنظمَ النشيد ولحّنـهُ بين مساءٍ وصباح . وقد كانَ من تأثيرهِ على النفوسِ أن تطوّعَ في الحاميةِ المدافعةِ تسعمائة شابٍّ في يومٍ واحد

ولم يكن أحدٌ يحلمُ، ولا لويسُ السادسُ عشرَ نفسهُ، بما سيكونُ من الأهميّةِ للمرسيز الذي كان يُسمّى « نشيد جيش الرين » حتى مشى أهلُ مرسيليا لباريز يترنّمونَ بهِ طولَ الطريق فنُسِبَ اليهم

ولا يقلُّ نشيدُ غريبالدي عن المارسيز . ويكفي أن نقولَ في

تأثيرَهُ إنَّهُ وحَّدَ ايطاليا المبعثرة، ونفَخ فيها روحاً صيَّرتها كما نراها الآن بعد أن كانت نهباً مقسَّماً

وأيُّ إنسانٍ لا يتحرَّكُ للعملِ عند ما يسمعُ جارَهُ يُنشدُ « انهضوا يا اخواني، واطردوا من بلادكم عدوَّها الغريبَ بالسيفِ، وانشروا أعلامكم، ولتفرح قلوبُكم التي تقدِّمونها بفخرٍ فِداءَ وطنِكم »

أمَّا الولاياتُ المتحدةُ الأمريكية فلها من الأناشيدِ الوطنيَّةِ حظٌّ وافر. غيرَ أنَّ نشيدَها الرسميَّ « منكِ يا بلادي My Country 'Tis of Thee ليسَ بالنشيدِ الذي يترنَّم بهِ الجمهور. واذا سألتَ أبناءَ الولايات المتَّحدة أن يختاروا من أناشيدِهم واحداً لاختاروا بين (١) ينكي دودل Yankee Doodle و(٢) العلَمِ المرصَّع بالنجوم The Star spangled Banner و(٣) جسم جون برأون John Brown's Body و (٤) السير في جورجيا Marching through Georgia و (٥) ارض دكسي Dixie Land لأنَّ كلَّ هذه الأناشيد وُضِعَتْ إمَّا إبَّانَ الحربِ أو في أيام الثورة. فالنشيدان الأوَّل والثاني كانَ أوَّلُ العهد بهما في الثورةِ الأمريكيـة التي فقدت انكلترا فيها أغلى ماسةٍ في تاجها. والثالث هو الذي حرَّر عبيدَ أمريكا، وأدار رحى الحرب الأهلية بين الولايات الشماليةِ والولاياتِ الجنوبيةِ. والرابع والخامس كانا نشيدَيْ هذهِ الولايات في تلك الحرب

ولقد لحَّنَ أحَدُ اخواننا السوريين نشيداً عنوانهُ « لأجلك يا أمريكا » ووضَعَهُ بين أيدي رجال الولايات المتحدةِ للنظرِ في إحلالهِ محلَّ النشيدِ الرسميِّ الحالي

ولم يحفظ التـاريخ بين صفحاته ، خلافَ المرسيز وغريبالدي ، عن نشيدٍ وطنيٍّ أنَّهُ أثر في النفوسِ مثلَ « ربّنا اُحفظ الملك » God save the King عام ١٨٩٦ عند ما كانت تستعدُّ انكلترا لمحاربة امريكا . فانه أظهرَ ما خفي في صدرِ « جون بل » من العواطف الكامنة . وما زال منذ ذلك الوقتِ الى يومِنا هذا يُنشدُهُ البريطانيّون في انتصارهم فيملأهم فرحاً وسروراً ، وفي خـذلانهم فيوليهم شجاعةً وإقداماً . أمَّا تاريخهُ فيرجع الى سنة ١٧٦٦ اذ كان يُنشَدُ باللاتينية في عهد جيمس الثاني

الا أنه يوجد في انكلترا نفسها من يعارضُ في جعلهِ نشيداً رسمياً . والمعارضون قسمان : الأول يقول إنه لا يجوزُ دينياً ان نطلب من اللهِ سحقَ أعدائنا . فهم ينشدون بدَلهُ « بارك يا رب وطننا » God bless our native وفيهِ يرجونَ اللهَ حفظَ بلادِهم وحمايتها وانتشارَ السلامِ في العالم حتى يُصبحَ عدوُّهم صديقاً

والقسمُ الثاني يَضعُ الشعبَ في المقامِ الأوَّل ، ويرى أن يُهتَفَ بأسمـهِ لا باسمِ الملوك . فوضَعَ لنفسه « متى تنجّي الشعبَ يا ربّنا » When wil't thou save the people ومطلِعهُ (متى تنجّي الشعب يا ربّنا . يا إله الرحمة لا الملوك فقط بل الشعوبَ ، لا التيجانَ ، ولكن بني الإنسان

ولا يزالُ في انكلترا من يظنُّ أنَّ « هذا في صحة الملك » Here's a health unto His Majesty هو أحقُّ بجعلهِ نشيداً وطنياً من « ربّنا اُحفظِ الملكَ » إلاَّ أنهُ لا يتّفقُ مع الذّوقِ تحيّةُ ملكٍ من بيتٍ هانوفر بنشيدٍ وُضِعَ للتأثيرِ على نُفوسِ الشعبِ لاستردادِ سلالةِ ستوارت

مثـل « بني دندي » Bonniee Dunde و « الملك على سطح الماء »

The King over the water

وفي اللغةِ الانكليزية عددٌ غيرُ قليل من الأناشيدِ الوطنيةِ للشعراء: « بيرنز وتمسون ومور وكمبل» تُحمّس الجبانَ، وتحي ميّتَ الإحساسِ مثل « احكمي يا بريطانيا » Rule Britania

وكثيراً ما نرى انَّ النشيدَ الذي تنتخبهُ الحكومة لا يتّفِقُ مع ذوق الجمهور فيتركهُ كما في الولايات المتحدة . كذلك في المانيا؛ فانك في اغلب الاحايين لا تسمعُ الشعبَ يترنمُ بالنشيد الرسمي . بل تجدُهُ يُنشدُ اليوم بحماسٍ « المراقبة على الرين » Wacht am Rhein لا يقلُّ عن حماس آبائهم يومَ كانوا ينشدونه قبلَ أخذِ الالزاس واللورين

غيرَ انَّ لنشيدِ « مارتين لوتر » او كما سمّاه الشاعرُ هنريك هين « مرسيز الاصلاح »رنّةٌ لطيفة، وذكرٌ جميل، وتاريخٌ سارٌّ . فهو لايزالُ يُسمَعَ اليوم بالمانيا كما سُمع في معركة « لوتزن » وفي حرب فرنسا . بل كلّما جدَّ حادثٌ جلَل

ولقد عناهُ « الفيكونت دي فوج » احد كبار كتّابِ فرنسا في انتقادهِ رواية « السقوط » Débacle لاميل زولا حيث قال (إنَّ من سمع الاصوات التي ملأت وادى « الميوز » ليلةَ اوّل سبتمبر سنة ١٨٧٠ يعرف كيف غُلِبَتْ فرنسا على أمرِها)

ولا يجهلُ احدُنا ما كان من التأثير الشديد لنشيدِ الدستور العثماني عام ١٩٠٨ فالعهدُ ليسَ ببعيد . فقد أشعل نارَ الوطنية في قلوب العثمانيين،

وعلّمهم أن الحرية حقٌّ ، والعدلَ واجبٌ ، والمساواة طبيعية . فاصبحوا لا يرضونَ بالذُّل ، ولا يرضخون للاستبداد . وما زال كالكهرباء يغلي الدّم في عروقهم ، ويثيرُ الشعورَ في قلوبهم ، حتى كان منهُ أن خلَع عبد الحميد

امّا نشيدُ الجمهورية الصينية فاشهرُ من أن نشيرَ اليهِ . وهو اكبر برهانٍ على أنّ الاناشيدَ الوطنية هي التي ترفعُ الامم من وهدة الانحطاط. وهل كان يجول بفكرِ أحدِنا أنّ الصين تصيرُ يوماً ما جمهورية ؟ ؟

نظرة الى مصر بعد كل ما مرَّ بنا

لا يوجدُ في هذا القطرِ ما يُطلقُ عليه نشيدٌ وطني سوى سلام الخديو « هذا الخديو له الفخار » وهو ليس مما يدفع القومَ لبذل النفس والنفيس فى سبيل بلادهم . وما عداهُ فاناشيدُ يترنم بها اطفال المدارس في الاحتفالات . وجلُّها بل كلها من نظم شاعرِ الامير « احمد شوقي بك » وهي مما يشكرُ عليها . الاّ أنها ليسَ لها الوقع الذي لغيرها من الاناشيد الوطنية . والسبب على ما اظنُّ كون شوقي بك شاعراً غير ملحِّن

وقد اقترحَ بعضهم في (الجريدة) منذُ ثلاثة اعوام وضع جائزة لمن ينظم احسن نشيدٍ وطني . ولا ارى لذلك فائدة . اذ أن النشيد الذي يجب ان يكون نشيد مصرِ الوطنيّ لا يكون الباعث عليهِ حبُّ المال . واليوم الذي تجتمع فيهِ الوطنية الحقة والشعر والموسيقى في قلب احد أبناء النيل هو اليوم الذي نسمع فيهِ نشيدنا المنتظر ؟

(اتبره — السودان) عز الدين صالح